**مدرس التحليلي النفسي:**

يبدو أن بداية التحليل النفسي كانت على يد جماعة من العلماء والأطباء الأوربيين أثناء معالجتهم لمشاكل الناس ، فقد وجدوا أن الكثير من الأحداث الغريبة غير المنطقية في حياة هؤلاء ، والتي يمكن تنظيمها على أساس من التفسيرات التي أسموها "ما تحت الشعور" والذي تشتمل على تلك الأحداث التي لا تصل أبداً إلى سطح الشعور ، ولكنها تؤثر إلى حد كبير في الحياة الشعورية. ولنتأمل مقدمات الفكر لهذه النظرية عند شاركو طبيب الأعصاب الفرنسي ، حيث يعود إليه الفضل في البحث عن الحقائق السيكولوجية التي من شأنها أن تفسر الأعراض الهستيرية مثل الشلل وغيرها من الأعراض. ويقدم لنا بيير جانييه Gagne أحد تلاميذ شاركو وأستاذ علم النفس في فرنسا وصفا لحالة هستيريا " وهي حالة رجل عمره ٣٢ سنة كان حبيس فراشه في أحد المستشفيات لعجزه عن تحريك كلتا ساقيه في أثناء اليقظة والشعور، ومع ذلك فإن الرجل في أثناء نومه ليلاً كان يقفز أحياناً في خفه من سريره ويمسك بوسادة يكلمها ، كما كان يتسلل من الغرفة مع الوسادة إلى سطح المستشفى وهو يجري بسرعة غير عادية وكان على العمال أن يلزموا منتهى الحذر في الإمساك به نظراً لأن كلتا ساقيه كانتا تشلان إذا ما أوقظ ". وعندما أحيط

بالحادث بعد إيقاظه وحمله إلى سريره لم يستطع تصديق أن ذلك حـدث له ، فحياته الشعورية خاليه من كل تلك الوقائع ، ومع ذلك فإنـه أثنـاء جريه وهو في حالة التجوال الليلي كان بالطبع مسترشدا باحساسات عن الأبواب والصالات والممرات والوسادة وسطح المستشفى. ويروي جانييه حالات هستيريا أخرى عن الذين عاشوا عيشه مزدوجة ، تارة بشخصية معينة وتارة بشخصية أخرى تجعل منهم أشخاصاً مختلفين تماماً. وعـن الذين لا يحسون بأيديهم أو الذي لا يرون إلا جزءاً صغيراً مـن مركـز مجال الإبصار ، كل هذه الحالات أدت بجانييه إلى استنتاج أن الظـاهرة المشتركة في هذه الحالات كلها هي تضييق مجال الشعور ، أو انفـصال جزء من الشعور عن الكل ، وفي ظروف معينـة يعمـل هـذا الجـزء المنفصل.

كما لاحظ سيجموند فرويد مع أستاذة شـاركو أن المرضـى بالعصاب عادة ما تنتابهم صعوبات في حياتهم الجنسية ، وقـد واصـل فرويد الاستفادة من علاقة العصاب بالصعوبات الجنـسية فـي علاجـه لمرضاه ، فوجد أنهم كان يخجلون من بحث تلك الصعوبات ، ولكن حين كان ينجح في حملهم على تذكر خبراتهم الماضية في هذا الصدد يحـدث نوع من التطهير الذهني الذي يؤدي إلى تخفيف وطأة العـصاب. ولقـد

وجد فرويد أن تذكر تلك الخبرات المقلقة كان عملاً عسيراً للغاية ، مما جعله يقتنع بأن مرضاه قد نسوا فعلاً الأحداث الأصلية. وأدى ذلك إلى اقتناعه بأن تلك الخبرات المنسية هي سبب العصاب ، ولذلك كانت تساؤلات فرويد عن العملية التي نسيت بسببها تلك الخبرات الانفعالية الحية ، وكيف اكتسبت تلك الخبرات هذه القدرة على تغيير شخصية بأسرها؟

ولكي ينشئ فرويد نظاماً سيكولوجياً يجيب به عن تلك الأسئلة المبدئية استخدم مصطلحات تصويرية وصفية. فتصور أن الشخصية أو الذات وكأن جزءاً منها شعوري ، وجزءاً منا غير شعوري ونحن نشعر بالعالم الخارجي وبنواحي معينه من أنفسنا ولكننا نجهل القوى الجبارة التي تحرك أعماق شخصيتنا ، هذه المنطقة الواسعة من نشاطنا الداخلي الذي لا ندركه تكوّن اللاشعور ، وترتبط هذه المفاهيم بالنظرية الأولى لفرويد التي يقتصر فيها على تقديم الكيفيات الثلاث التي تتخذها العمليات النفسية ، فهناك العمليات الشعورية والعمليات اللاشعورية بالإضافة إلى تقديمه لمفهوم ما قبل الشعور ويشتمل على الأفكار والذكريات والصور غير الموجودة في اللحظة الراهنة لدى الشخص ، ولكنه يمكنه استعادتها

واستحضارها إلى الشعور ،في حين أن هذا يعد أمر مستحيلا بالنسبة للعمليات اللاشعورية.

ويقدم فرويد في نظريته الثانية تحليلاً للجهاز النفسي باعتبار أنه يشتمل على ثلاث منظمات فرعية هي الهو والانا والانا الأعلى.

فجهاز "الهو Id " يمثل الصورة الأولى للجهاز النفسي ويشتمل على القوى الغريزية وعلى المكبوتات من خبرات وحفزات ووجدانات وأفكار أعيدت ثانيا إلى الهو دون أن تدخل الشعور. وتطالب محتويات الهو بالإشباع الفوري والتعبير عن نفسها بشكل ما دون أن تأخذ في اعتبارها المعايير الاجتماعية فهي لا ترتبط بالواقع.

والانا Ego هو الجزء المنظم من النفس الذي يوجه العمليات الخاصة بالتنفيس عن محتويات "الهو" ويعتمد الانا في المحافظة على كيانه من خلال النظام الإدراكي الذي يربط الفرد بالعالم الخارجي وتستخدم الانا ما لديها من إمكانات عقلية على نحو يؤدي إلى تحقيق أهداف الهو ، وقد تضطر الانا إلى كبح جماح الهو وارجاء اشباع مطالبها حتى يحين الوقت المناسب.

أما "الانا الأعلى" Super Ego وينشأ اشتقاقاً من الانا نتيجة لما تتعلمه الانا من قيم خلقية والمثل العليا للسلوك ، وهو شبيه بشكل ما

"بالضمير" في تعبيراتنا العامة ، ويختص بما هو صواب وما هو خطأ ، وتعمل الانا الأعلى من خلال الانا على كف الهو عن اشباع كل ما يراه المجتمع خطأً أو محرماً.

وتحدد العلاقة بين الأجهزة الثلاث نوع سلوك الفرد في موقف ما ، وغالباً ما يكون الصراع بين الهو بمحتوياتها التي لا يقرها المجتمع والانا الأعلى بما تمثله من صواب وخطأ أو بين المرفوض اجتماعياً والمقبول اجتماعياً ، ويقع على الأنا عبء الوصول إلى حل هذا الصراع وبذلك نجد أن الأنا تعد بمثابة مصدر الدفاع بين قوى (الهو) وقوى (الانا الأعلى). وتعد الأنا مسئوله عن كبت المطالب الغريزية الملحة بالاتفاق مع أوامر الانا العليا ، وهي بذلك تبعد عن دائرة الشعور ما يهددها من غرائز تحاول إشباعاً لا يوافق عليها المجتمع ، وما يثير الامها من مشاعر. غير أن الكبت كحيلة دفاعية عملية ناقصة ، اذ تستمر المحتويات التي كبتت تهدد بالظهور ، وهذا هو ما يؤدي إلى القلق فقوى الهو عندما تفشل في معركتها مع الانا في التعبير عن نفسها لا ترضى بالبقاء خامدة، بل تظهر هذه المكبوتات على شكل عرض عصابي وتتمتع بحياة شاقة بعيداً عن نظام الانا. فمثلاً قد يصاب إنسان بنزعة قهرية لغسل يديه ، وقد يكرر العملية مرات عديدة في أثناء النهار رغم نظافة

يديه ، ويفسر فرويد ذلك بأن غسل اليدين هذا عرض عصابي يعبر عن هزيمته – إلى حد ما – لحفز ، سابقة تم كبتها عن طريق الانا.

ويضيف فرويد بأن الهو تقع تحت مبدأ "اللذة" ذلك المبدأ الذي يعبر عن القوة الكافية في الفرد والتي تحاول الحصول على الإشباع المباشر للمطالب الغريزية. ولا يستطيع الانا أن يعلم ما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة نظراً لأنه لا شعوري وغير مرتب. أما الأنا بحكم اتصاله بالبيئة الاجتماعية بمدركاتها المتنوعة وما يترتب عليها من عواقب في المستقبل يقوم مؤقتاً بكبح جماح قوى الهو.

ويرمز مصطلح التحليل النفسي إلى منهج البحث ووسيلة العلاج التي إبتدعها "فرويد" ، حيث تقوم طريقة التحليل النفسي أساساً على التداعي الحر للأفكار والذكريات ، ففي العلاج يطلب من المريض عادة أن يستلقى ويطلق العنان لأفكاره وذكرياته، وأن يستدعي ذكرياته مهما كانت تافهة أو مخزية أو مخالفة للآداب أو غير منطقية في الوقت الذي يقوم فيه المحلل (المعالج) بمساعدة المريض على تشجيعه وتوجيهه إلى ناحية بعينها. ويستمر التحليل بهذا الشكل حتى تكتشف العوامل الفعالة في حياة المريض النفسية والتي مردها يكون إلى المراحل المبكرة من حياته. ومتى يتوصل المعالج إلى أصل العلة الأولى وتعرفه هو والمريض

عليهما ، يبدأ السعي لرؤية الحل الأمثل في ضـــوء معايـــشه الموقـــف العصابي في ظروف انفعالية جديدة يصحبها إشباع حقيقي يـــؤدي إلـــى إنهاء الموقف العصابي

ورغم تعدد واختلاف الفنيات والطرائق المستخدمة في التحليـــل النفسي ورغم الاختلافات المتعددة بين وجهات النظر المختلفة لأنـــصار مدرسة التحليل النفسي ، إلا أنهم جميعاً يتفقون على مبادئ مشتركة تدور حول : كلية السلوك ، فالمنهج التحليلي يتناول بالدراسة العميقـــة للحالـــة الفردية في جملة علاقاتها، وذلك سعياً وراء تبين المواقف التي تثير القلق والصراع. وهو في ذلك يسعى لتحييد جملة الشروط التي تحكم الـــسلوك أي التي تعتبر مسئولة عن السلوك الذي تدرسه ، مـــستخدماً فـــي ذلـــك المقابلة الشخصية والاختبارات الاسقاطيه وأسلوب التحليل النفـــسي فـــي تفسير الهفوات والأحلام.

وهكذا ظهر التحليل النفسي كأسلوب من أساليب العلاج النفـــسي إلا أنه تحول بعد ذلك إلى شروح نظرية تقدم نظرية في الغرائـــز وفـــي مراحل النمو ، وفي بناء الشخصية ، بالإضافة إلى تقديمها لمنهج بحـــث في علم النفس هو المنهج الاكلينكي.